

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ

أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي

الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

(87) ﴿

شرح الكلمات:

وَذَا النون: هو يونس بن متى عليه السلام وأضيف إلى النون الذي هو الحوت في قوله تعالى {ولا تكن كصاحب الحوت} لأن حوته كبيرة ابتلته.

إذ ذهب مغاضباً: أي لربه تعالى حيث لم يرجع إلى قومه لما بلغه أن الله رفع عنهم العذاب.

فظن أن لن نقدر عليه: أي أن لن نجسسه ونضيق عليه في بطن الحوت من أجل مغاضبته.

{فَنَادَى} نادانا {في الظُّلُمَاتِ} جمع ظلمة: وهي ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت {أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ} يعبد ويقصد {سُبْحَانَكَ} تعاليت وتنزهت {إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} حيث ترك مداومة قومه والصبر عليهم أو في الخروج من غير إذن له فنزّهه عن الظلم ونسبه إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً.

وما دعا داع بدعاء يونس عليه السلام: إلا فرّج الله همه، ودفع كرب، وأنجاه من كل بلية .

المعنى الإجمالي :

هذه الدعوة من الدعوات العظيمة المباركة في كتاب ربنا جل شأنه دعاء يونس عليه السلام الذي بعثه جلّ في غلاه إلى أهل (نينوى) من أرض موصل في العراق، وقد قصّ لنا كتاب الله تعالى في عدّة مواضع عنهم كما في هذه السورة، وفي سورة (الصافات)، وفي سورة (ن) دلالة على أهميتها لما فيها من الحكم، والفوائد الجليلة في مصالح الدين والدنيا والآخرة، وقد ذكرت لنا التفسير:

أن الله تبارك وتعالى أرسله إلى قومه، فدعاهم إلى الله تعالى بالإيمان به، فأبوا عليه، ولم يؤمنوا، وتمادوا في كفرهم فوعدهم بالعذاب بعد ثلاث، ثم خرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم قبل أن يأمره الله تعالى، فظن أن الله تعالى لن يقضي عليه عقوبة ولا بلاء، فلما تحقّقوا من ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم... ثم تضرّعوا إلى الله تعالى وجأروا إليه... فرفع الله عنهم العذاب، قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [4].

وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع القوم في السفينة، فلحجت بهم، وخافوا أن يغرقوا، فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم... فوقعت القرعة على يونس، فأبوا أن يلقيه، ثم أعادوها ثلاث مرات فوقعت عليه، قال تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [5]، فألقى بنفسه في البحر، فأرسل الله تعالى من البحر حوتاً عظيماً، فالتقم يونس، وأوحى الله جلّ شأنه ألا يأكله، بل يتلعه ليكون بطنه له سجنًا [6].

فلما صار عليه السلام في بطن الحوت ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾: ((قال ابن مسعود رضى الله عنه : ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل)) [7]، فاستغاث بربه السميع العليم الذي لا تخفى عليه خافية في السماء والأرض، مهما دقت وخفت، فأنجاه الله تعالى كما هي سنته مع الموحدين المخلصين الداعين .

وكأنّ لسان حاله يقول: أي يا رب أنت الواحد المنفرد بالألوهية، المنزّه عن كل نقص وعيب، ومن ذلك أن ما وقع لي ليس بظلم منك، فأنت الكامل في أسمائك، وصفاتك، المنزّه عن كل سوء، فإني ظلمت نفسي، واعتزفت بذنبي بتعريض لي للهلاك، فتضمّن هذا الإقرار: طلب الغفران منه جلّ وعلا، والتجاوز عنه، وإنقاذه ممّا هو فيه من الكرب، والشدة، بالطف الكلمات .

أنواع الظلم :

((الظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختصّ به، إمّا بنقصان، أو بزيادة، وإمّا بعدول في وقته أو مكانه، وهو ثلاثة أنواع: الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر، والشرك، والنفاق.

والثاني: ظلم بينه وبين الناس.

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه)

تضمن هذا الدعاء من كمال التوحيد والعبودية في ثلاثة مطالب عظيمة :

1 - إثبات كمال الألوهية واختصاصها بالله عز وجل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ .

2 - إثبات كمال التنزيه لله تعالى عن كل نقص، وعيب ، وسوء المتضمن لكماله تعالى من كل الوجوه: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ .

3 - الاعتراف بالذنوب والخطأ المتضمن لطلب المغفرة، المستلزم لكمال العبادة من الخضوع، والذل لله تعالى: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

فتضمّن هذا الدعاء المبارك أنواع التوحيد الثلاثة:

توحيد الألوهية المتضمّن لتوحيد الربوبية في قوله تعالى (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) . - **وتوحيد الأسماء والصفات** في قوله: ((سُبْحَانَكَ)) فهذه أنواع التوحيد التي عليها الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (201)



هذا هو الحق

حافظوا على قول :

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ
إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

فإن أولها توحيد و أوسطها تسبيح
و آخرها إستغفار

قوله من تفسير سورة البقرة الآية 87

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها (عزمي إبراهيم عزيز)

12- صحة اعتقاد أهل السنة والجماعة أن التنزيه يتضمن الكمال والتعظيم لله رب العالمين؛ فإن قوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي أنزهك عن كل سوء، ومن ذلك ما وقع مني؛ فإنه ليس بظلم منك؛ فإنك تنزهه عنه، وإنما بسبب جنايتي على نفسي، فدل أن التنزيه يتضمن الشناء والتعظيم من كل الوجوه .

13- من كانت له حاجة عند ربه تبارك وتعالى فليدع الله بهذا الدعاء الذي دعا به نبي الله يونس عليه السلام ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وقاص رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ : { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ " [رواه الترمذي] .

14- علاج الهم والكرب والبلاء والحزن يكون بالإيمان والعمل الصالح قال تعالى: "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" سورة النحل آية 97 وخير علاج للهم والكرب والبلاء قراءة القرآن الكريم بتدبر فهو ربيع القلوب ونور الصدور وجلاء الأحزان وذهاب الهموم والغموم والشفاء لجميع الأمراض البدنية والقلبية قال تعالى: "ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذاهم وقر وهو عليهم عمي أولئك ينادون من مكان بعيد". سورة فصلت آية 44.

15- في هذه الآية إقرار بالتوحيد ، وإثبات للتنزيه ، واعتراف بالذنوب ، وهي أركان ثلاثة عليها تقوم العبودية وبها ينال ما عند الله من لطف ورحمة ورزق وهداية ، ولهذا فرج الله عن يونس عليه السلام لما قالها ، ويفرج عن كل من قالها من المؤمنين.

والله اعلم

وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- فضيلة دعوة ذي النون: { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } . إذ ورد أنه ما دعا بها مؤمن إلا استجيب له، وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نَجِي الْمُؤْمِنِينَ} يقوي هذا الخبر.

2- تضمن هذا الدعاء الجليل صدق العبودية لله تعالى رب العالمين من كل الوجوه.

3- أن الدعاء كما يكون طلباً صريحاً يكون كذلك تعريضاً متضمناً للطلب .

4- أن هذه الصيغة جمعت آداب الدعاء، وأسباب الإجابة، فيحسن بالعبد أن يكسر منها حال دعائه، وكربه، وغمومه، وشدائده، كما أخبر بذلك الشارع الحكيم .

5- هذه الدعوة فيها من كمال التوحيد، والإيمان بالله تعالى، الذي ينبغي لكل داع أن يضمن هذه المضامين في أدعيته .

6- فيه دلالة على أن التسييح سبب للإنجاء من الكرب والهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [14].

7- إن التوحيد والإيمان والإقرار بالذنوب من أكبر أسباب النجاة من مهالك الدنيا والآخرة .

8- إن الذنوب من أعظم الأسباب الموجبة لزوال النعم، وحصول النقم .

9- ينبغي أن يدعوا العبد بحسن ظنٍ عظيم في حق ربه تعالى حال دعائه؛ فإن الله تعالى يعامله على حسب ظنه به.

10- إن ما يوقع على العبد من المصائب فإن سببها تقصيره في حق ربه تعالى.

11- إن كل الخلق مهما كانت رتبهم ومنزلتهم مفتقرون إلى الله تعالى فعليهم أن يفروا إليه وحده بالدعاء والرجاء والرغبة والرهبة.